﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ١٠﴾ [مريم: 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

طلبُ وقتِ حصولِ البِشارةِ بعدَ اليقينِ بها

لمّا عَلِمَ زكريّا ﷺ بوقوعِ البِشارةِ من ربِّ العالمينَ بيحيى ﷺ، وقَوِيَ اطمئنانُهُ بكيفيَّةِ حصولِها، وزالَتِ الغرابةُ مِنْ نفسِهِ، فطلبَ مِنَ اللهِ جلَّ وتباركَ علامةً على ذلكَ، فقالَ: ﴿رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ءَايَةٗۚ﴾: الآيةُ: العلامةُ، يقالُ: ائتِني بآيةِ كذا، أي: بعلامةِ كذا، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ﴾[2]، وقيلَ: هي العلامةُ الظّاهرةُ، وحقيقتُهُ لكلِّ شيءٍ ظاهرٍ مُلازمٍ لشيءٍ لا يَظهَرُ ظُهورَهُ، فمتى أدركَ مُدرِكٌ الظّاهرَ منهما عَلِمَ أنَّهُ أدركَ الآخرَ، وذلكَ ظاهرٌ في المحسوساتِ والمعقولاتِ، فمَنْ عَلِمَ ملازمةَ العلمِ للطَّريقِ، ثمَّ وجدَ العلمَ عَلِمَ أنَّهُ وجدَ الطَّريقَ، وكذا إذا عَلِمَ شيئًا مصنوعًا عَلِمَ أنَّهُ لا بدَّ لهُ مِنْ صانعٍ.

واشتقاقُ الآيةِ مِنَ التَّأيّي الَّذي هو التَّثبُّتُ والإقامةُ على الشَّيءِ، يقالُ: تَأَيَّ، أي: ارفُقْ، أو مِنْ قولِهم: أَوَى إليهِ، وقيلَ للبِناءِ العالي: آيةٌ، نحوُ: ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ١٢٨﴾ [الشعراء: 128]، والآياتُ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٣﴾ [الجاثية: 3] هي الآياتُ المعقولةُ الَّتي تتفاوتُ بها المعرفةُ بحسَبِ تفاوتِ منازلِ النّاسِ في العِلمِ[3]، والآيةُ مِنَ القرآنِ قيلَ: سُمِّيَتْ آيةً؛ لأنَّها علامةٌ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 177، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4615.
(2) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (أي).
(3) الراغب، المفردات: (أي).

يُقطَعُ بها كلامٌ مِنْ كلامٍ، وقيلَ: لأنَّها جماعةٌ مِنْ حروفِ القرآنِ، كما يقالُ: خرجَ القومُ بآيتِهم، أي: بجماعتِهم[1]، والآيةُ أيضًا: العِبْرةُ[2].

2) ﴿سَوِيًّا﴾: (سوي) أصلٌ يدلُّ على استقامةٍ واعتدالٍ بينَ شيئينِ، يقالُ: هذا لا يُساوي كذا، أي: لا يُعادِلُهُ، وفلانٌ وفلانٌ على سَوِيَّةٍ مِنْ هذا الأمرِ، أي: سَواءٍ[3]، والسَّويُّ يقالُ فيما يُصانُ عنِ الإفراطِ والتَّفريطِ مِنْ حيثُ القَدْرُ والكيفيَّةُ، قالَ جلَّ وعزَّ: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ﴾ [طه: 135]، ورجلٌ سَويٌّ: استوَتْ أخلاقُهُ وخِلْقتُهُ عنِ الإفراطِ والتَّفريطِ[4]، والسَّواءُ: المُستوي، ويقالُ: أرضٌ سَواءٌ، أي: مُستويةٌ[5]، ومِنْ جملةِ ما قيلَ في ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ أنَّ معناهُ: ثلاثَ ليالٍ كاملةً، أي: بأيّامِها[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

قالَ زكريّا عليه السلام: ربِّ اجعَلْ لي علامةً تدلُّني على تحقُّقِ المسؤولِ، ووقوعِ الحَملِ المأمولِ، فأجابَهُ ربُّهُ: علامتُكَ ألّا تَقْدِرَ على تكليمِ النّاسَ ثلاثَ ليالٍ حالَ كونِكَ صحيحًا سَويًّا بلا مَرَضٍ أو عِلَّةٍ في بدنِكَ ولا في لسانِكَ[7].

خَرْقُ العاداتِ في مقامِ بيانِ وقتِ حصولِ البِشاراتِ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ هذه الآيةِ عمّا قبلَها:

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً﴾ عن سابقِهِ؛ لأنَّهُ استئنافٌ بيانيٌّ جاء جوابًا عن سؤالٍ نشأَ مِنَ الكلامِ السّابقِ، كأنَّ

فصلُ الآيةِ لكونِها استئنافًا بيانيًّا

(1) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (أي).
(2) الزبيدي، تاج العروس: (أي).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوي).
(4) الراغب، المفردات: (سوي).
(5) الزبيدي، تاج العروس: (سوي).
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 73.
(7) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 7، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 215، والقاسمي، محاسن التأويل: 5/ 215.

قائلًا قالَ لمّا أخبرَ سبحانَهُ زكريّا ﷺ بأنَّ خَلْقَ يحيى هيِّنٌ عليه: ماذا قالَ زكريّا بعدَ علمِه بذلكَ؟ فأُجيبَ بأنَّهُ قالَ: ﴿رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ﴾[1].

سرُّ اختيارِ عنوانِ الرُّبوبيَّةِ:

زكريّا ﷺ مُنغمِسٌ في مقامِ الإحسانِ والإكرامِ

اختيرَ لفظُ الرُّبوبيَّةِ في قولِ زكريّا ﷺ: ﴿رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ﴾؛ لإنبائِه بحسَبِ معناهُ اللُّغويِّ عنِ التَّربيةِ والإحسانِ المُلائمَينِ لسياقِ القُرْبِ وطلبِ الحاجاتِ، أي: أيُّها المُحسِنُ إليَّ بالتَّقريبِ وإجابةِ الدُّعاءِ اجعَلْ لي علامةً أعرفُ بها تحقُّقَ ما بشَّرْتَني بهِ، ولانغماسِ زكريّا ﷺ في النِّعَمِ والهباتِ والرَّحَماتِ تكرَّرَ في قصَّتِه في هذه السّورةِ ذكرُ لفظِ الرَّبِّ: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ﴾، ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي﴾، ﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾، ﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾، ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ﴾، ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾، ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ﴾.

غرضُ صيغةِ الأمرِ:

خروجُ الأمرِ عن حقيقتِه إلى معنى الدُّعاءِ

صيغةُ الأمرِ في قولِه جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ﴾ ليسَتْ على بابِها؛ لأنَّ الأمرَ في الأصلِ يكونُ مِنَ الأعلى إلى مَنْ هو دونَهُ، والعبدُ دونَ الرَّبِّ، فلا يُتصوَّرُ أنْ يكونَ آمِرًا لهُ، فتُحمَلُ الصّيغةُ على ما يناسبُ المقامَ؛ وهو الدُّعاءُ والابتهالُ بينَ يدَيْ واهبِ الحاجاتِ ومُفيضِ الرَّحَماتِ ﷻ، والأنسبُ في هذا المقامِ تسميةُ هذا الفعلِ بفعلِ الدُّعاءِ.

وجهُ طلبِ زكريّا ﷺ آيةً:

أوانُ حصولِ البِشارةِ ممّا تتشوقُ النُّفوسُ لمعرفتِه

اختُلِفَ في وجهِ طلبِ زكريّا ﷺ آيةً مِنْ ربِّه بقولِه تعالى: ﴿رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ﴾ على أوجهٍ:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 177.

الأول: إنَّ التماسَهُ الآيةَ كانَ على معنى المزيدِ مِنَ اللهِ والتَّكرمةِ لهُ بإعطائِه إيّاها[1].

الثّاني: البِشارةُ بالولدِ وقعَتْ مُطلَقةً، فلا يُعرَفُ وقتُها بمُجرَّدِ البِشارةِ، فطلبَ الآيةَ ليعرفَ بها وقتَ الوقوعِ[2]، وهذا الأظهرُ؛ لا سيَّما وأنَّ عنصرَ الزَّمان له من الأهميَّة ما لا يخفى.

الثّالث: المبادرةُ إلى الشُّكْرِ، وتعجُّلُ السُّرورِ؛ إذِ الحَملُ لا يظهرُ في أوَّلِ العُلوقِ، فأرادَ معرفتَهُ أوَّلَ وجودِهِ[3].

ولا يمتنعُ الجمعُ بينَ القولينِ الثّاني والثّالثِ، فيكونُ غرضُهُ مِنْ معرفةِ وقتِ الحصولِ المُبادَرةَ إلى الشُّكْرِ وإظهارِ السُّرورِ.

غرضُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ على ﴿ءَايَةً﴾:

العِنايةُ بجَعْلِ الآيةِ لهُ بتقديمِ الجارِّ والمجرورِ

الجَعْلُ في قولِه جلَّ وتبارك: ﴿رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗ﴾ إبداعيٌّ، واللّامُ مُتعلِّقةٌ بهِ، وتقديمُها على المفعولِ به حيثُ لم يُقَلْ: (اجعَلْ آيةً لي)؛ للاعتناءِ بالمُقدَّم - وهو حصولُ الجَعْلِ لهُ - والتَّشويقِ إلى المُؤخَّرِ، أوِ اللّامُ مُتعلِّقةٌ بمحذوفٍ حالٍ مِنْ ﴿ءَايَةً﴾؛ إذ لو تأخَّرَ قولُهُ: ﴿لِّيٓ﴾ لكانَ صفةً لها[4].

بلاغةُ التَّعريضِ بحذفِ مُتعلَّقِ ﴿ءَايَةً﴾:

استعجالُ زكريّا عليه السلام بحصولِ المُبشَّرِ به

أرادَ زكريّا عليه السلام نصبَ علامةٍ دالَّةٍ على وقوعِ الحَملِ بالغُلامِ؛ لأنَّ البِشارةَ به مُطلَقةٌ لم يتعيَّنْ زمنُها، وقد يتأخَّرُ الموعودُ به لحكمةٍ، فأرادَ أنْ يعلمَ وقتَ الموعودِ به، وفي هذا الاستعجالِ تعريضٌ بطلبِ المبادرةِ به، ولذلكَ حُذِفَ مُتعلَّقُ ﴿ءَايَةً﴾، فلم يُقَلْ: (اجعَلْ لي آيةً على كذا)[5]؛ إيهامًا أنَّ مقامَ الاستعجالِ قد ضاقَ عن إتمامِ الكلامِ.

(1) الواحدي، البسيط: 14/ 204.

(2) الواحدي، البسيط: 14/ 204، والزمخشري، الكشاف: 4/ 6، والفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 515، والشوكاني، فتح القدير: 3/ 382.

(3) زكريا الأنصاري، فتح الرحمن، ص: 351.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 258، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 390.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 73.

غرَضُ تَنكيرِ ﴿ءَايَةً﴾:

تنكيرُ لفظِ ﴿ءَايَةً﴾ في قولِه عزَّ مِنْ قائلٍ على لسانِ زكريّا عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾؛ للقصدِ إلى فردٍ مِنْ أفرادِ الآياتِ، أي: اجعَلْ لي آيةً مِنَ الآياتِ.

سرُّ تَكرارِ لفظِ الآيةِ:

كُرِّرَ لفظُ الآيةِ في قولِه تعالى وتقدَّسَ: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾، ولم يُقَلْ: (قالَ هيَ ألّا تُكلِّمَ النّاسَ ثلاثَ ليالٍ سَويًّا)؛ لما في التَّكريرِ مِنْ إيناسِ زكريّا عليه السلام بحصولِ مقصودِه الَّذي طلبَهُ؛ بإيرادِه باللَّفظِ الَّذي تلفَّظَ به هو، لا سيَّما وهو في مقامِ الاستعجالِ لمعرفةِ علامةِ البِشارةِ الَّتي بُشِّرَ بها، وفيه من غرسِ الطُّمأنينةِ في نفسِ زكريّا عليه السلام ما لا يخفى، كأنَّه قال آيتك التي طلبتها هي كيتَ وكيتَ.

مراعاةُ نفسِ المخاطَبِ قيمةٌ تربويَّةٌ وهدايةٌ روحيَّةٌ

دلالةُ إضافةِ الآيةِ إلى كافِ الخطابِ:

إضافةُ الآيةِ إلى كافِ الخطابِ في قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ على معنى اللّامِ، أي: جعَلْنا علامةً لكَ تَعرِفُ بها وقتَ حصولِ البِشارةِ؛ وهذه العلامةُ هي ألّا تُكلِّمَ النّاسَ ثلاثَ ليالٍ مِنْ دونِ علَّةٍ ولا مَرَضٍ[1]، وفي هذه الإضافة معنَى الاختصاصِ، أي: هي آيةٌ لك دون سواك.

اختصاصُ زكريّا عليه السلام بهذه الآية

براعةُ تقييدِ الآيةِ بعدمِ تَكليمِ النّاسِ:

خُصَّ الامتناعُ عنِ التَّكليمِ بالنّاسِ في قولِه جلَّ وعزَّ: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾؛ ليعلمَ زكريّا عليه السلام أنَّهُ يُحبَسُ لسانُهُ عنِ القُدرةِ على تكليمِهم خاصَّةً، معَ إبقاءِ قُدرتِه على التَّكلُّمِ بذكرِ اللّهِ، ولذلكَ قيلَ لهُ في سورةِ آلِ عمرانَ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ

حَبْسُ لسانِ المُنعَمِ عليه في مقامِ الحسدِ والتَّكذيبِ إعانةٌ وكرامةٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 73.

﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران: 41]، يعني: في أيّام عجزِكَ عن تكليم النّاس، وذلكَ ليُخلِصَ المُدَّةَ لذكرِ اللهِ، ولا يشتغلَ لسانُهُ بغيرِهِ، توفُّرًا منهُ على قضاءِ حقِّ تلكَ النِّعمةِ الجسيمةِ بالشُّكرِ[1]، وفيه منَ التَّربيَّة الإشاريَّة لعموم النّاس ما تعجزُ الأقلام عن سطرِه، فإنَّ صاحبَ النِّعمةِ محسودٌ، فكيف إذا كانت النِّعمةُ ولدًا على كِبَرٍ، وكيف إذا كانت معجزةً، بل كيف إذا خُبِّر أنَّه سيحيا ليراه غلامًا، بل كيف إذا سُمّيَ من قِبل الله تعالى، فإذا كان المُنعَمُ عليه بمثل هذه النِّعَم، فإنَّ لسانه قد ينطق بها في كلِّ محفلٍ، وهذا ما سيجعلُ ألسنَ التَّكذيب تمتدُّ، فكانتِ الآيةُ مُعينةً على المحافظةِ على هذه النِّعمة.

نوعُ اللّامِ في لفظِ ﴿ٱلنَّاسَ﴾:

اللّامُ للجنسِ أوِ العهدِ

الظّاهرُ أنَّ المرادَ بالنّاسِ في قولِه تعالى: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ جنسُ النّاسِ، فتكونُ اللّامُ للجنسِ والحقيقةِ، ويجوزُ أنْ تكونَ اللّامُ للعهدِ، ويكونَ المرادُ بالنّاسِ النّاسَ المعهودينَ الَّذينَ يختلطُ بهم ويُكلِّمُهم عادةً؛ وهم قومُهُ.

بلاغةُ الاحتراسِ والتّأكيدِ في تعدُّدِ أوجه الإعرابِ:

لا يسلُبُ اللهُ النِّعمَ بإنزالِ النِّعمِ

يحتملُ ﴿سَوِيًّا﴾ في قولِه ﷻ: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ أنْ يكونَ صفةَ ﴿ثَلَٰثَ﴾ للتَّأكيدِ، أي: ثلاثَ ليالٍ كاملةً، أي: بأيّامِها، وسَويٌّ: فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، يستوي في الوصفِ به الواحدُ والواحدةُ والمُتعدِّدُ منهما.

ويحتملُ أنْ يكونَ حالًا مِنْ ضميرِ المُخاطَبِ في ﴿تُكَلِّمَ﴾، أي: حالَ كونِكَ سَويًّا، أي: بدونِ عاهةِ الخَرَسِ والبَكَمِ، ولكنَّ ذلكَ آيةٌ لكَ، وعلى هذا فذكرُ ﴿سَوِيًّا﴾ للاحتراسِ ومُجرَّدِ تأكيدِ الطُّمأنينةِ، وإلّا فإنَّ توقيتَهُ بثلاثِ ليالٍ كافٍ في الاطمئنانِ على انتفاءِ العاهةِ[2].

(1) الزمخشري، الكشاف: 1/ 360.

(2) السمين الحلبي، الدر المصون: 7/ 573، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 73.

توجيهُ المُتشابه اللَّفظيِّ:

تشابهَتْ هذه الآيةُ معَ قولِه تعالى في سورةِ آلِ عمرانَ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٤١﴾ [آل عمران: 41]، فالآيتانِ مِنْ قصَّةٍ واحدةٍ، وهي قصَّةُ زكريّا ﷺ، وفي كلٍّ منهما طلبَ زكريّا ﷺ مِنْ ربِّه آيةً تدلُّ على وقتِ حصولِ البشارةِ.

وتختلفُ الآيتانِ مِنْ حيثُ إنَّهُ ذُكِرَتِ اللَّيالي هنا، وذُكِرَتِ الأيّامُ في آلِ عمرانَ، فدلَّ التَّنصيصُ على الوقتينِ على أنَّ المنعَ مِنَ الكلامِ استمرَّ به ثلاثةَ أيّامٍ ولياليَهنَّ؛ حتَّى لا يقعَ احتمالُ أنْ يكونَ المنعُ في اللَّيالي دونَ الأيّامِ، أوِ الأيّامِ دونَ اللَّيالي[1]، وكذا في آيةِ آلِ عمرانَ ذُكِرَتِ الأيّامُ لتناسبَ قولَهُ: ﴿إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾؛ لأنَّ الرَّمزَ ما يُفهِمُ المقصودَ دونَ نُطقٍ، كالإشارةِ بالعينِ واليدِ أو بالشَّفتينِ، وذلكَ إنَّما يُدرَكُ بالعينِ، فيناسبُهُ ذكرُ النَّهارِ الَّذي يُمكِنُ فيه الإبصارُ، ولمّا لم يُذكَرِ الرَّمزُ في آيةِ مريمَ ذُكِرَ فيها اللَّيلُ[2].

وقيلَ: إنَّ هذه السّورةَ مكّيَّةٌ سابقةُ النُّزولِ، وتلكَ مدنيَّةٌ، واللَّيالي عندَهم سابقةٌ على الأيّامِ؛ لأنَّ شهورَهم وسِنيَّهم قَمَريَّةٌ تُعرَفُ بالأهلَّةِ، ولذلكَ اعتبروها في التّاريخِ، فأُعطيَ السّابقُ للسّابقِ[3].

وقيلَ: لمّا بُدِئَتْ سورةُ مريمَ ﷺ بذكرِ الرَّحمةِ في قولِه سبحانَهُ: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾، وكانَ اللَّيلُ مَحَلَّ تنزُّلِ الرَّحَماتِ، وإجابةِ الدَّعَواتِ، وإعطاءِ المَسائلِ والهِباتِ – قيلَ: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٖ﴾[4].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الآيةُ والعلامةُ:

فرَّقَ العسكريُّ بينَ العلامةِ والآيةِ: بأنَّ الآيةَ هي العلامةُ الثّابتةُ، مِنْ قولِكَ: تأيَّيتُ بالمكانِ، إذا تحبَّستَ بهِ[5]، وأمّا علامةُ الشَّيءِ فهي ما يَعرِفُ به المُعلِمُ لهُ ومَنْ شاركَهُ في

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 7، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 6، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 73.
(2) الغرناطي، ملاك التأويل، ص: 81.
(3) الخفاجي، عناية القاضي: 6/ 147، والقاسمي، محاسن التأويل: 7/ 87.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 177.
(5) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 368.

معرفته دونَ كلِّ واحدٍ؛ كالحَجَرِ تجعلُهُ علامةً لدفينٍ تدفنُهُ، فيكونُ دلالةً لكَ دونَ غيرِكَ، ولا يُمكِنُ غيرَكَ أنْ يستدلَّ به عليه إلّا إذا وافقتَهُ على ذلكَ[1].

الآيةُ تُستعمَلُ كثيرًا في سياقِ العِبْرةِ والعِظَةِ ونحوِ ذلكَ، والعلامةُ على التَّمييزِ مطلقًا

ورُدَّ بأنَّ قولَهُ: إنَّ الآيةَ هي العلامةُ الثّابتةُ فيه نظرٌ؛ لقولِه تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾، فقد جعلَ هذه الآيةَ مُؤقَّتةً بثلاثِ ليالٍ.

والظّاهرُ أنَّ الآيةَ ما فيه عِبْرةٌ وعِظَةٌ، ولذلكَ تُطلَقُ على ما كانَ فيه دلالةٌ على وجودِ اللّه وقُدرتِه ونحوِ ذلكَ، وقد سمَّى اللّهُ تعالى ناقةَ صالحٍ آيةً في قولِه ﷻ: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٣﴾ [الأعراف: 73]، وقالَ في معرضِ الدَّعوةِ إلى التَّفكُّرِ والتَّدبُّرِ: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٣﴾ [الجاثية: 3].

وتعريفُ العسكريِّ العلامةَ بأنَّها لا يعلمُها إلا مَنْ وضعَها فيه نظرٌ أيضًا؛ لأنَّ العلامةَ ما يسترشدُ به كلُّ مُسترشِدٍ، كالجبالِ والنُّجوم، قالَ تعالى: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [النحل: 15 - 16][2].

ويمكنُ توجيهُ كلامِ العسكريِّ بأنَّ بعضَ العلاماتِ يكونُ اصطلاحيًّا، فتكونُ المعرفةُ به خاصَّةً بمَنْ اصطلحَ عليه.

الكلامُ والقولُ والنُّطْقُ:

الكلامُ: هو ما كانَ مُكتفيًا بنفسِه، وهو الجملةُ، والقولُ: ما لم يكنْ مُكتفيًا بنفسِه، وهو الجزءُ مِنَ الجملةِ، بدليلِ إجماعِ النّاسِ على أنْ يقولوا: القرآنُ كلامُ اللّهِ، ولا يقولوا: القرآنُ قولُ اللّهِ، ثمَّ إنَّهم قد يتوسَّعونَ فيضَعونَ كلَّ واحدٍ منهما موضعَ الآخرِ[3].

الكلامُ أخصُّ مِنَ القولِ والنُّطْقِ، والقولُ ما لم يكتفِ بنفسِه، والنُّطقُ صوتٌ مفهومٌ

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 234.
(2) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 22 - 23.
(3) الزبيدي، تاج العروس: (كلم).

وأمّا النُّطْقُ: فهو الأصواتُ المُقطَّعةُ الَّتي يُظهِرُها اللِّسانُ، وتفهمُها الآذانُ، ولا يكادُ يقالُ إلّا للإنسانِ، ولا يقالُ لغيرِه إلّا على سبيلِ التَّبَعِ، نحوُ: النّاطقِ والصّامتِ، فيرادُ بالنّاطقِ ما لهُ صوتٌ مِنَ الإنسانِ وغيرِهِ، وبالصّامتِ ما لا صوتَ لهُ، ولا يقالُ للحيوانِ: ناطقٌ إلّا مُقيَّدًا أو على سبيلِ التَّشبيهِ، وقولُهُ تعالى: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: 16] معناهُ: أنَّ اللّهَ علَّمَنا مِنْ أصواتِ الطَّيرِ ما تقولُ، وإنْ لم تَنطِقْ بنُطْقِ البشرِ، فسمَّى سليمانُ عليه السلام أصواتَ الطَّيرِ نُطْقًا اعتبارًا بفهمِه عنها، فمَنْ فهمَ مِنْ شيءٍ فهو ناطقٌ بالنِّسبةِ إليهِ، وإنْ كانَ صامتًا بالنِّسبةِ إلى غيرِهِ[1].

والظّاهرُ أنَّ الكلامَ أخصُّ مِنَ القولِ والنُّطْقِ، فالنُّطْقُ يقالُ للأصواتِ المُفهمةِ، والقولُ ما لم يكنْ مُكتفيًا بنفسِهِ، وهو جزءُ الجملةِ، والكلامُ ما كانَ مُكتفيًا بنفسِهِ، وهو الجملةُ.

النّاسُ والإنسُ:

فُرِّقَ بينَ النّاسِ والإنسِ مِنْ أوجهٍ:

أحدُها: سُمّيَ الإنسُ بذلكَ؛ لأنَّهُ يُؤنَسُ بهم لظُهورِهم، بخلافِ الجنِّ، فإنَّهُ يُستوحَشُ بهم لاستتارِهم، أمّا النّاسُ فقد سُمّوا بذلكَ لحركتِهم في الخيرِ والشَّرِّ.

الإنسُ جنسٌ مقابلٌ لجنسِ الجنِّ ومُقترنٌ به دائمًا، والنّاسُ اقترنَ بالجنَّةِ في ثلاثةِ مواضعَ فقطْ

الثّاني: أنَّ الإنسَ كلَّما ذُكِروا يُرادُ بهم دائمًا الجنسُ المقابلُ لجنسِ الجنِّ، أمّا النّاسُ فقد يرادُ بهم جميعُ النّاسِ أو بعضُهم إلى الواحدِ منهُم بحسَبِ السّياقِ، كقولِه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ [الحج: 1]، وقولِه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: 54]، وقولِه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ [آل عمران: 173].

(1) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (نطق).

الثّالثُ: اقترنَ ذكرُ الإنسِ بذكرِ الجنِّ في كلِّ مواضعِ ورودِه في القرآنِ الكريمِ، نحوُ قولِه ﷻ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ [الأنعام: 130]، وقولِه: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ﴾ [الأعراف: 38]، وقولِه: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧﴾ [النمل: 17]، ولم يقترنْ ذكرُ النّاسِ بالجنِّ، بل اقترنَ بالجنَّةِ بمعنى الجنِّ في ثلاثةِ مواضعَ فقطْ، وهي قولُهُ تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩﴾ [هود: 119]، وقولُهُ: ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣﴾ [السجدة: 13]، وقولُهُ: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦﴾ [الناس: 6][1].

(1) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 213 - 216.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»